وقف لله تعالى
يهدى ولا يباع

أوثق عرى الإيمان

و

الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك

و

فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشرك

للشيخ العلامة
سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب
رحمه الله تعالى

طبع على نفقة فاعل خير
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار القاسم

أوثق عرى الإيمان

و

الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك

و

فتيا في حُكم السفر إلى بلاد الشرك

للعَلاَّمةِ الشَّيخِ

سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

«١٢٠٠-١٢٣٣هـ»



بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبد الوهاب، سليمان عبد الله محمد

أوثق عرى الإيمان ورسائل أخرى ـ الرياض.

٥٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ ـ ٥٢٦ ـ ٣٣ ـ ٩٩٦٠

١ ـ العقيدة الإسلامية ٢ ـ الإيمان (الإسلام)

أ ـ العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٢/٣٩٣٥

رقم الإيداع: ٢٢/٣٩٣٥

ردمك: ٧ ـ ٥٢٦ ـ ٣٣ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

العنوان: الرياض. طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون

للمراسلات: الرمز البريدي: ١١٤٤٢. ص. ب: ٦٣٧٣

هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

✧ البريد الإلكتروني: sales@dar-alqassem.com

✧ موقعنا على الإنترنت: www.dar alqassem.com

الرسالة الأولى

الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك

تأليف

الإمام العلامة

سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

١٢٠٠-١٢٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله: أنّ الإنسانَ إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومُداهنة لدفع شرِّهم. فإنه كافرٌ مثلهم وإن كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين. هذا إذا لم يقع منه إلاّ ذلك. فكيف إذا كان في دار منعةٍ، واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود الشرك والقباب وأهلها، بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟! فإنّ هذا لايَشُكّ مسلمٌ أنه كافرٌ، من أشدّ الناس عداوة لله ورسوله، ولا يُستثنى من ذلك إلاّ المُكرَه، وهو الذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: اكفر، أو افعل كذا وإلاّ فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه، فيعذّبونه حتى يوافقَهم. فيجوز له الموافقةُ باللسان، مع طمأنينة القلب بالإيمان. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً أنه يكفر. فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا؟! وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك، بعون الله وتأييده.

الدليل الأوّل:

قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فأخبر تعالى أنّ اليهود والنصارى وكذلك المشركون، لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم، ويشهد أنهم على حقّ.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا

﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥]، فإذا كان النبيُّ ﷺ لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب، لكن خوفاً من شرّهم ومداهنة، كان من الظالمين. فكيف بمن أظهر لعُبَّاد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم؟! فإنهم لا يرضون إلاَّ بذلك.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧]، فأخبر تعالى أنّ الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردُّوهم عن دينهم، إن استطاعوا، ولم يرخِّص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمّن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرّهم أنّه مرتدّ، فإن مات على ردَّته بعد أن قاتله المشركون، فإنه من أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟! فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه، لا عُذر له. عرفت أنّ الذين يأتون إليهم ويُسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال، أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفارٌ مرتدّون.

الدليل الثالث: قوله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين، وإن كانوا خائفين منهم؛ وأخبر أنّ من فعل ذلك فليس من الله في شيء، أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ وهو أن يكون الإنسان مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة والقلبُ مطمئنٌ بالبغضاء

والعداوة، وانتظار زوال المانع. فإذا زال رجع إلى العداوة والبغضاء، فكيف بمن اتّخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عُذر، إلاّ استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله. فما جعل الله الخوف منهم عُذراً؛ بل قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، فأخبر تعالى أنّ المؤمنين إن أطاعوا الكفّار، فلابد أن يردّوهم على أعقابهم عن الإسلام؛ فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنّهم إن فعلوا ذلك، صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخّص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم وهذا هو الواقع فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلاّ بشهادة أنّهم على حق وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم، ثم قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم، وهو خير الناصرين ففي ولايته وطاعته غُنية وكفاية عن طاعة الكفار. فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد، ونشأوا فيه، ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين، وخير الناصرين، إلا ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟! بئس للظالمين بدلاً.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، فأخبر تعالى أنّه لا يستوي من اتبع رضوان الله، ومن اتبع ما يسخطه ومأواه جهنم يوم القيامة. ولا ريب أنّ عبادة الرحمن وحده ونصرها، وكون الإنسان من أهلها، من

رضوان الله، وأنّ عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله، فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص، وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين.

فإن قالوا: خِفْنا.. قيل لهم: كذبتم. وأيضاً: فما جعل الله الخوفّ عذراً في اتباع ما يسخطه، واجتناب ما يرضيه. وكثير من أهل الباطل إنّما يتركون الحقّ خوفاً من زوال دنياهم، وإلاّ فيعرفون الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧]، أي في أي فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين، أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

ولا يشك عاقل أنّ أهل البلد ان الذين خرجوا عن المسلمين، صاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم. هذا مع أنّ الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا، واحتُبِسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلمّا علموا بقتلهم تأسّفوا وقالوا: إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية[(١)].

فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام، فخلعوا ربقته من

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٥٩٦،٧٠٨٥)، وانظر الروايات في الباب في تفسير الطبري (٥/ ٢٣٤) وما بعدها.

أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخلوا في طاعتهم، وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، واتبعوا غير سبيلهم وخطَّئوهم، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبُهم، والاستهزاء بهم، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد، والصبر عليه، وعلى الجهاد فيه وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً، واختياراً لا اضطراراً. فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شَحّاً بالوطن، وخوفاً من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين. فإن قال قائل: هلاّ كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قُتلوا يوم بدر؟ قيل: لا يكون عذراً؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذا أقاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه؛ لأنهم السبب في ذلك حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فذكر تبارك وتعالى أنه نزّل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها، ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم، حتى يخوضوا في حديث غيره. وأنّ من جلس مع الكافرين بآيات الله، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم، فهو مثلهم. ولم يفرّق بين الخائف وغيره إلاّ المكره، هذا وهم في بلد واحد، في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزِّه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلا بلاده، واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء، وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرّهم، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم؟!

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة: ٥١]، فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء. وأخبر أنّ من تولاّهم من المؤمنين فهو منهم. وهكذا حكم من تولى الكفّار من المجوس وعبّاد الأوثان، فهو منهم. فإن جادل مجادلٌ في أنّ عبادة القباب، ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك، وأن أهلها ليسوا بمشركين، بان أمره واتضح عناده وكفره. ولم يفرّق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر تعالى: أن الذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر. وهكذا حال هؤلاء المرتدين، خافوا من الدوائر، وزال ما في قلوبهم من الإيمان بوعد الله الصّادق بالنّصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك، خوفاً أن تصيبهم دائرة، قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠]، فذكر تعالى أن موالاة الكفار موجبةٌ لسخط الله، والخلود في العذاب بمجرّدها، وإن كان الإنسان خائفاً، إلاّ من أُكره بشرطه، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصّريح، وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨١]، فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله، والنبي وما أنزل إليه. ثم أخبر: أنّ سبب ذلك كون كثير منهم فاسقون ولم يفرق بين من

خاف الدائرة وبين من لم يخف، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثيرٌ منهم فاسقون، فجرّهم ذلك إلى مولاة الكفار، والردة عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١]، وهذه الآية نزلت لما قال المشركون: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله. فأنزل الله هذه الآية[1]، فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره، إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم ونصرهم والشهادة أنهم على حق، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك، ممن وافقهم على أنّ الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وهذه الآية نزلت في رجل عالم عابد في زمان بني إسرائيل، يقال له: بلعام، وكان يعلم الاسم الاعظم.

قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: لما نزل بهم موسى عليه السلام ـ يعني بالجبارين ـ أتاه بنوا عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجلٌ حديدٌ ومعه جنود كثيرة. وأنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردّ عنّا موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالو به حتى دعا

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢٨١٨)، والنسائي في الكبرى (١١١٧١)، والترمذي في الجامع (٣٠٦٩).

عليهم، فسلخه الله مما كان عليه؛ فذلك قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥] .(١)

وقال ابن زيد: كان هواه مع القوم، يعني: الذين حاربوا موسى وقومه، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله بعد أن أعطاه الله إياها، وعرفها وصار من أهلها، ثم انسلخ منها، أي ترك العمل بها، وذكر في انسلاخه منها ما معناه أن مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى ـ عليه السلام ـ ومن معه أن يردّهم الله عن قومه؛ خوفاً على قومه وشفقةً عليهم، مع كونه يعرف الحقّ ويقطع به، ويتكلم به، ويشهد به ويتعبّد، ولكن صدّه عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه، وإخلاده إلى الأرض، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله. وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين، وأعظم. فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بتوحيده ودعوته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم، والاعتصام بحبل الله جميعاً، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القحاب(٢) واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقرّوا بها، ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والرّدة من بلعام، أو هم مثله.

الدليل الثالث عشر: قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]، فذكر تعالى

---

(١) رواه ابن جرير (التفسير) ٩/ ١٢٣.

(٢) القُحاب في الأصل: فساد الجوف من داء. والقَحْبةُ: الفاسدة الجوف. ثم أُطلق علىالبغيّ المكتسبة بالفجور. تاج العروس (٣/ ٥١٨).

أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجبٌ لمسيس النار، ولم يفرّق بين من خاف منهم، وغيره. إلاّ المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قدر عليه من مالٍ ورأي، وأحب زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإنّ هذا من أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧]، فحكم تعالى حكماً لا يُبدّل أنّ من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر، سواء كفر بباطنه وظاهره، أم بظاهره دون باطنه، وسواء كفر بفعاله ومقاله، أم بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو كافرٌ على كلّ حال، إلاّ المكره، وهو في لغتنا: المغصوب. فإذا أكره الإنسان على الكفر، وقيل له: اكفر وإلاّ قتلناك، أو ضربناك، أو أخذه المشركون فضربوه، ولم يُمكنه التخلّص إلا بموافقتهم، جاز له موافقتهم في الظاهر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان. أي ثابتاً عليه، معتقداً له. فأمّا إن وافقهم بقلبه فهو كافرٌ، ولو كان مكرهاً.

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى يعذّبه المشركون، فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فمازال يعتذر ويقول حديث عمّار. وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦، فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر؛ فقال يحيى: لا يقبل عذراً.

فلما خرج يحيى قال أحمد يحتج بحديث عمار: مررت بهم وهم يسبّونك

فنهيتهم فضربوني[1]، وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم؛ فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك.

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك، أو الجهل بالتوحيد أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين وعلى رضي رب العالمين. فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل: ١٠٧]، فكفَّرهم تعالى، وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبّة الدنيا، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحبابهم الدنيا على الآخرة، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنهم هم الغافلون. ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ٢٠]، فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين: إما أن يرجموكم، أي يقتلونكم شرَّ قتلة بالرجم، وإما أن يعيدوكم، في ملتهم ودينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ أي إن وافقتموهم على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم، فلن تفلحوا إذاً أبداً، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من

---

(١) روى قصة عمار هذه الطبراني في التفسير (١٤/ ١٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٨).

بعيد، وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟

الدليل السادس عشر: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١]، فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف، أي على طرف ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية، ونحو ذلك ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾ أي ثبت وقال: هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيراً ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ اي ارتدَّ عن دينه ورجع إلى أهل الشرك.

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة، يعبدون الله على حرف، أي على طرف، ليسوا ممن يعبدون الله على يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم، وأظهروا موافقة المشركين، وأعطوهم الطاعة، وخرجوا من جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهم معهم في الآخرة، كما هم معهم في الدنيا، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. هذا مع أن كثيراً منهم في عافية، ماأتاهم من عدو، وإنما ساء ظنهم بالله، فظنوا أنه يُديل الباطل وأهله على الحق وأهله، فأرداهم سوء ظنهم بالله، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت: ٢٣].

وأنت يا من منَّ الله عليه بالثبات على الإسلام، احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب، أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأي حسن، حذراً على الأنفس والأموال والمحارم، فإنّ هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً من الأولين والآخرين في الشرك بالله،

ولم يعذرهم الله بذلك، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق، ويعتقدونه بقلوبهم، وإنما يدينون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه، فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها، فقال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٥ـ٢٨]، فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرّهم الشيطان بتسويله، وتزيين ما ارتكبوه من الرّدة؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرّهم الشيطان، وأوهمهم أنّ الخوف عذر لهم في الرّدة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبَّته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه، ونسوا أنّ كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به؛ ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال، والمآكل والرئاسات.

ثم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد: ٢٦] فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الرّدة، وتسويل الشيطان، وإملائه لهم، هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر؛ فإذا كان من

وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافراً، وإن لم يفعل ما وعدهم به؛ فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم، والدخول في دينهم الباطل؟! فهؤلاء أولى بالرّدة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾ أي الأمر الفضيع عند الوفاة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصره القباب والقحاب واللواط، من اتّباع ما يسخطه الله، وكراهة رضوانه، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف، فإن الله ما عذر أهل الرّدة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول: ما جرى منّا شيء ونحن على ديننا.

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر: ١١].

فعقد تعالى الإخوة بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون في السر: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ [الحشر: ١١]، أي لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا﴾؛ أي لا نسمع من أحد فيكم قولاً، ولا نعطي فيكم طاعة. ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾؛ أي إن قاتلكم محمد ﷺ لننصرنكم ونكون معكم، ثم شهد

تعالى أنهم كاذبون في هذا القول، فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم، والخروج معهم إن أجلوا، نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً؛ فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؛ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر، كما قال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢].

فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة، فإنّ عذر كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره الله عن الّذين في قلوبهم مرض ولم يعذرهم به. قال الله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المائدة: ٥٢-٥٣]، ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبر تعالى أنه لابد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين، ووصفهم بالذّلة والتواضع للمؤمنين، والعزّة والغلظة والشدة على الكافرين، بضد من كان تواضعه وذّله ولينه لعبّاد القباب، وأهل القحاب واللواط، وعزّته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص؛ فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم وإن ادعى أنه خائف، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة: ٥٤]. وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين، ثم قال تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٥٤]، أي في توحيده، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخافون لومة لائم؛ أي لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم، بل

يمضون على دينهم، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه؛ إنما همتهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم والهرب من سخطه.

وهذا بخلاف من كانت همته وغاية مطلوبه رضى عبّاد القباب، وأهل القحاب واللواط ورجائهم، والهرب مما يسخطهم فإن هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، فأخبر تعالى أن هذا الخير العظيم، والصفات الحميدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن، ليس بحولهم ولا قوتهم، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]، فأخبر تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين ـ وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين. ولا يخفى أي الحزبين أقرب ـ إلى الله ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، أأهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات، أم أهل الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؟!. فالمتولي لضدهم، واضع للولاية في غير محلها، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب. ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر يوادُّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، وأن هذا منافٍ للإيمان، مضادٌ له، ولا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣]. ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس، إذا كان لم يرخص لأحد في موادّتهم واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم، وإيثاراً لمرضاتهم، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها؟! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له؛ فجمعوا مع الرّدة استحلال الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء، فقد ضل سواء السبيل؛ أي أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلالة.

فأين هذا ممن يدّعي أنه على الصراط المستقيم، لم يخرج عنه، فإن هذا تكذيب لله، ومن كذّب الله فهو كافر، واستحلال لما حرمّ الله من ولاية الكفار، ومن استحل محرَّماً فهو كافر.

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٣]،

فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تغني من عذاب الله شيئاً، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

الدليل الحادي والعشرون: من السنة ما رواه أبوداود وغيره، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من جامع المشرك وسكن معه، فإنّه مِثْلُهُ**»(١). **فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين، أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم؟! فإن قالوا: خفنا؛ قيل لهم: كذبتم.**

وأيضاً فليس الخوف بعذر، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف؟! وإنما جاءوا إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدوائر.

والأدلة على هذا كثيرة وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وأما من أراد الله فتنته وضلاله، فكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

---

(١) رواه أبو داود برقم (٢٧٨٧) وإسناده ضعيف.

الرسالة الثانية

فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشرك

تأليف

الإمام العلامة

سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

١٢٠٠ـ١٢٣٣هـ

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله، إن كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة ـ رضي الله عنه ـ كأبي بكر وغيره من الصحابة إلى بلدان المشركين لأجل التجارة، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في مسنده[(١)] وغيره.

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم، لم يجز له السفر إلى ديارهم، كما نص على ذلك العلماء، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك، لم يجز. وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم أو إرضائهم، كما هو واقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين، نعوذ بالله من ذلك.

المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة؟

الجواب: الجواب عن هذه المسألة هو الجواب عن التي قبلها سواء، ولا فرق في دار الحرب أو دار الصلح، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها، لا يجوز له السفر إليها.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣١٦).

المسألة الثالثة: هل يفرّق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين، أو المدة البعيدة؟

الجواب: أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ولا على عدم مولاة المشركين، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منها.

المسألة الثالثة: هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهراً أو شهرين أو المدة البعيدة.

الجواب: أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منها.

المسألة الرابعة: في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله في الحديث: «**من جامع المشرك وسكن معه، فإنه مثله**»[١].

الجواب: إن معنى الآية على ظاهرها، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فجلس عند الكافرين المستهزئين، من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر، والرضى بالكفر كفر.

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه، لم يقبل منه، لأن الحكم على الظاهر، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً.

ولهذا لما وقعت الرّدة بعد موت النبي ﷺ، وادعى أناس أنهم كرهوا

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وإسناده ضعيف.

ذلك، لم يقبل منهم الصحابة ذلك، بل جعلوهم كلهم مرتدين، إلا من أنكر بلسانه وقلبه[١] وكذلك قوله في الحديث: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**» على ظاهره، وهو أن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم، بحيث يعده المشركون منهم، فهو كافر مثلهم وإن ادعى الإسلام، إلا إن كان يظهر دينه ولا يوالي المشركين.

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا في مكة بعدما هاجر النبي ﷺ، فادعوا الإسلام، إلا أنهم أقاموا في مكة، يعدهم المشركون منهم، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا، فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]. قال السدي وغيره من المفسرين: إنهم كانوا كفاراً، ولم يعذر الله منهم إلا المستضعفين.

المسألة الخامسة: هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الإسلام: أنه منافق، أم لا؟

الجواب: أن من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه، كارتداده عند التحزيب على المؤمنين، وخذلانهم عند اجتماع العدو، كالذين قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكونه إذا غَلب المشركون صار معهم، وإن غَلب المسلمون التجأ إليهم ومدحه للمشركين بعض الأحيان، وموالاتهم من دون المؤمنين، وأشباه هذه العلامات التي ذكر الله أنها علامات للنفاق، وصفات للمنافقين، فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقاً.

وقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يفعلون ذلك كثيراً، كما قال

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٥/٥٤٩).

حذيفة ـ رضي الله عنه ـ إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقاً[١]، وكما قال عوف بن مالك لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح: كذبت، ولكنك منافق[٢]. وكذلك قال عمر في قصة حاطب: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. وفي رواية: دعني أضرب عنقه فإنه منافق[٣]، وأشباه ذلك كثير. وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام: كذبت ولكنك منافق: تجادل عن المنافقين[٤].

ولكن ينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً، وبين كونه منافقاً باطناً، فإذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه بذلك وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الإنسان مخطئاً لا علم عنده، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقاً. فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه، كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً، مع أنه ليس بمنافق، ومن سكت لم ينكر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين، فإنه لا يكون إلا منافقاً.

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية، أو لكونه يشاحن رجلاً في أمر دنيا، أو يبغضه لذلك، أو لكونه يخالف في بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين. فليحذر الإنسان أشد الحذر، فإنه قد صح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله[٥]. وإنما

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٣٨٦).
(٢) في قصة المنافقين في غزوة تبوك انظر تفسير الطبري (١٠/ ١٧٢).
(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٨٩٠، ٤٢٧٤) ومسلم في الصحيح (٢٤٩٤).
(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٧٥٠، ٢٦٦١).
(٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٦١٠٥) وبلفظ آخر (٦٠٤٧) ولمسلم نحوه.

يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها. بخلاف مثل الكَذْبَة والفجْرَة ونحو ذلك، وكان قصد الإنسان ونيته إعلاء كلمة الله ونصر دينه.

المسألة السادسة: ما قولكم في الموالاة والمعاداة، هل هي من معنى لا إله إلا الله، أو من لوازمها؟

الجواب: أن يقال: الله أعلم. لكن حسْب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين، وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان، ونفى الإيمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله أو من لوازمها، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك، وأوجبه، وأوجب العمل به، فهذا هو الفرض والحتم الذي لاشك فيه، فمن عرف أن ذلك من معناها، أو من لازمها، فهو حسن وزيادة خير، ومن لم يعرفه، فلم يكلف بمعرفته، لا سيما إذا كان الجدال والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان وجاهدوا في الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين، فالسكوت عن ذلك متعين، وهذا ما ظهر لي. على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى، والله تعالى أعلم، ولله الحمد والمنة، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الرسالة الثالثة

أوثق عرى الإيمان

تأليف

سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

١٢٠٠ـ١٢٣٣هـ

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة: في أهل بلد مرتدين، أو بادية، وهم بنو عم لرجل، ويجيء لهم ذكر عند الأمراء، فيتسبب بالدفع عنهم، حميّة دنيوية، إما بطرح نكال، أو دفن نقائص المسلمين، أو يشير بكف المسلمين عنهم، هل يكون هذا موالاة نفاق، أو يصير كفراً؟ وإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بتكفيرهم وسبّهم، ما حكمه؟ وكذلك إذا عرفت هذا من إنسان، ماذا يجب عليك؟ أفتنا مأجوراً، وبين لنا الدليل على النفاق أو الكفر؟ جزاك الله خيراً.

الجواب: الحمد لله رب العالمين.

يجب أن تعلم أولاً؛ أيدك الله بتوفيقه، أن أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله، وأن الله افترض على المؤمنين عداوة الكفار والمنافقين، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ وأمر بجهادهم، والإغلاظ عليهم بالقول والعمل. وتوعدهم باللعن والقتل في قوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦١]، وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولاّهم فهو منهم، كيف يدّعي رجل محبة الله، وهو يحبُّ أعداءَه الذين ظاهروا الشيطان على ربهم واتخذوه وليّاً من دون الله كما قيل:

تُحِبُّ عدوِّي ثم تزعم أنني
صديقك إنّ الودَّ عنك لعازبُ

وبالجملة فالحب في الله والبغض في الله، أصل عظيم من أصول الدين، يجب على العبد مراعاته، ولهذا جاء في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان الحب**

في الله والبغض في الله»[١]، ولذلك أكثر الله من ذكره في القرآن، قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال بعض المفسرين: نهو أن يوالوا الكافرين؛ لقرابة بينهم، أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر.

وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين، فلا تؤثروهم عليهم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي ومن يتولّ الكفرة، فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً. وهذا أمرٌ معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوِّه متنافيان.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ رخّص لهم في موالاتهم إذا خافوا، ولم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا معهم مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة والبغضاء لهم، فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهراً، والقلب مطمئنٌ بالعداوة والبغضاء، حتى يزول المانع كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، قال ابن عباس: ليس التقيّة بالعمل، إنما التقيّة باللسان[٢].

وقال أيضاً: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار، ويتخذوهم وليجةً من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين؛ فيظهرون لهم اللطف،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٨٦)، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان رقم (١١٠).

(٢) رواه ابن جرير بنحوه في التفسير (٣/٢٢٨-٢٢٩)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٠٤٣).

ويخالفونهم في الدين، وذلك قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم(١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[آل عمران: ١١٨]، قال القرطبي: أي لا تجعلوا خاصّتكم وبطانتكم منهم.

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٦]، قال حذيفة - رضي الله عنه -: ليتَّق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾(٢).

وقال مجاهد في قوله ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾[المائدة: ٥٢] قال: هم المنافقين في مصانعة اليهود، وملاحاتهم، واسترضاعهم أولادهم إياهم.

وقال علي - رضي الله عنه - في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أهل رقّة على أهل دينهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] قال: أهل غلظة على من خالفهم في دينهم(٣) وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠]، والآية بعدها.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير (٣/ ٢٢٨).
(٢) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم بإسناده عن عبدالله بن عتبة (تفسير ابن كثير ٢/ ٦٩).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٨٧).

﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة: ٧٣]، فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم للإسلام، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلاً.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الآية: جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ قال: أذهب الرفق عنهم[1]. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وليلقه بوجه مكفهّر، أي عابس متغير من الغيظ والبغض، ذكره ابن أبي حاتم، وجاء معناه في حديث مرفوعاً، رواه البيهقي في الشعب[2].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، نفى سبحانه وتعالى الإيمان عمّن هذا شأنه ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم، فضلاً عن غيرهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، قال ابن عباس: ولا تركنوا، قال: لا تميلوا، وقال عكرمة: أن تطيعوهم، أو تودوهم أو تصطنعوهم، ومعنى تصطنعوهم: أي تولوهم الأعمال، كمن يولي الفسّاق والفجّار.

وقال الثوري: ومن لاق[3] لهم دواة، أو برى لهم قلماً، أو ناولهم قرطاساً دخل في هذا، قال بعض المفسرين في الآية: النهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم، وزيارتهم،

(١) تفسير الطبري (١٠/١٨٣).
(٢) رواه البيهقي مرفوعاً في شعب الإيمان (٧/٣٨).
(٣) أي أصلح مدادها، المعجم (٥/٢٢٢).

ومداهنتهم، والرضى بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيّ بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ والركون: هو الميل اليسير.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[الممتحنة: ١-٩]، وصح أن صدر هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم[١].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢]، إنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر كما رواه الطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم وغيرهم[٢].

وعن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبوبكر صكة فسقط؛ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أفعلت يا أبا بكر**» فقال: والله لو كان السيف قريباً مني لضربته. فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ روه ابن المنذر.

وهذا والله أعلم في أول الإسلام، فإن أبا قحافة أسلم عام الفتح فلم يكن ليسب النبي ﷺ بعد الإسلام، وأبو بكر خرج مهاجراً من مكة، ولم يعد إليها إلا بعد الإسلام في عمرة مع النبي ﷺ.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أحب في الله، وأبغض في الله

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٩٠، ٤٢٧٤، ٣٩٨٣)، وصحيح مسلم (٢٤٩٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١/ ١٥٤).

وعادى في الله ووالى في الله، فإنما تناله ولاية الله بذلك. [رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم].

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت به راحة نفسك، وأما انقطاعك إليَّ فتعززت به، فماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: يارب! ومالك علي؟ قال: هل واليت لي ولياً، أو عاديت لي عدواً**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣]، فعقد تعالى المولاة بين المؤمنين، وقطعهم من ولاية الكافرين، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض وأنهم إن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع. فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله؟ ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والآيات في هذه كثيرة.

وأما الأحاديث: فروى أحمد عن البراء بن عازب: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله**»(٢).

وفي حديث مرفوع: «**اللهم لا تجعل للفاجر عندي يداً، ولا نعمة فيودُّه**

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣١٦) وابن عبدالبر في التمهيد (١٧/ ٤٣٢).

(٢) رواه أحمد في المسند، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان، وحسنه الألباني، انظر تخريجه في ص(٣٠).

قلبي، فإني وجدت فيما أوحى إليَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]. رواه ابن مردويه وغيره.

عن أبي ذر مرفوعاً: «**أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله**» رواه أبو داود ورواه أحمد مطولاً[١].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «**المرء مع من أحب**»[٢].

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[رواه ابن حبان في صحيحه].[٣]

وعن علي مرفوعاً: «**لا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم**» [رواه الطبراني[٤] بإسناد جيد[٥]، قاله المنذري].

وروى أحمد معناه عن عائشة بإسناد جيد أيضاً وعنها أيضاً مرفوعاً: «**الشرك أخفى في أمتي من دبيب الذّرّ على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله، البغض في الله**» قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد[٦].

فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الحب على شيء من الجور وإن قل،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٤٦/٥) وأبو داود (٤٥٩٩).
(٢) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤١).
(٣) رواه ابن حبان (٥٥٤)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٧) وقال هذا حديث حسن، إنما نعرفه من هذا الوجه. أهـ.
(٤) رواه الطبراني في الصغير (٨٧٤)، وفي الأوسط (٦٤٥٠).
(٥) الترغيب والترهيب (٢٨/٤).
(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٣١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣٦٨/٨).

والبغض على شيء من العدل وإن قل من الشرك، فَلْيُحْذَرُ أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين.

وعن بريدة مرفوعاً: «**لا تقولوا للمنافق سيّد، فإنه إن يكن سيّداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل**» رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح[١]. ورواه الحاكم ولفظه: «**إذا قال الرجل للمنافق: يا سيدي فقد أغضب ربه عز وجل**» وقال: صحيح الإسناد[٢].

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «**مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردّى في بئر، فهو ينزع بذنبه**»[رواه أبو داود، وابن حبان][٣].

قال المنذري: ومعنى الحديث أنه وقع في الإثم، وهلك البعير إذا تردى في بئر، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص. والأحاديث في ذلك كثيرة.

---

(١) أبو داود في السنن (٤٩٧٧)، النسائي في عمل اليوم والليلة(٢٤٤)، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٦٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٧٨٦٥).

(٣) رواه أبو داود في السنن (٥١١٧)، وابن حبان في الصحيح (١١٩٨)، وأحمد في المسند (٤٠١/١).

فصل
في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة، فنذكر منها بعضها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩] والآية بعدها.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما في الآية: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما كن بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ الآية، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[(١)]، وعنه أيضاً «لا تتخذوا بطانة من دونكم» قال: هم المنافقون رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قيل له: إن هنا غلاماً من أهل الحيرة، حافظاً، كاتباً فلوا اتخذته كاتباً؟ قال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين. رواه ابن أبي شيبة[(٢)]. وعن الربيع: (لاتتخذوا بطانة) قال: لا تستدخلوا المنافقين تتولونهم دون المؤمنين.

وفي تفسير القرطبي في الكلام على هذه الآية: نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم، ويقال: كل من

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (٤/ ٦١).
(٢) في المصنف (٨/ ٦٥٨).

كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تخادنه. قال الشاعر:

عــن المــرء لا تســأل وســل عــن قــرينــه ... فكــل قــريــن بــالمقــارن يقتــدي

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «**المرء على دينه خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[١].

وروى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (اعتبروا الناس بأخدانهم)[٢] ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهي عن المواصلة، قال: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يعني فساداً، يعني لا يتركون الجهد في فسادكم. قال: وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر - رضي الله عنه - بحسَّاب، فدفعه إلى عمر فأعجبه، فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال إنه لا يدخل المسجد. فقال: لِمَ؟ أجنب هو؟ قال: إنه نصراني، قال: فانتهره، وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خوَّنهم الله[٣].

ومن كتاب الإمام محمد بن وضاح قال أسد بن موسى: جاء في الأثر: من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة فقد مشى في هدم الإسلام. وقال الأوزاعي: كانت أسلافكم تشتد عليهم - أي على أهل البدع - ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذِّرون الناس بدعتهم. وعن الحسن قال: لا تجالس صاحب بدعة فإنه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود في السنن (٤٨٣٣)، والترمذي في الجامع (٢٣٧٩) وقال حديث حسن غريب.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ١٨٧).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٧).

يمرض قلبك، وقال إبراهيم: لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم. روى هذه الآثار ابن وضاح.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: اعلم رحمك الله أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة في ضلالة لا تخرج عن الملة انتهى، فإذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم في معاداة أهل البدع والضلالات، ونهيهم عن مجالسهم، فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين، وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، والسعي في مصالحهم والذَّب عنهم، وتحسين حالهم، مع كونهم بين اثنتين، إما كافر أو منافق، ومن يهتم بمعرفة الإسلام منهم قليل جداً، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم، وهو معهم يحشر يوم القيامة: قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ [التكوير: ٧] وقد تقدم الحديث: «**لا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم**».

فصل
في التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وشدد في ذلك وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ، أخبر النبي ﷺ: أن من أحب قوماً حشر معهم. ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور، من فعلها دخل في تلك الآيات، وتعرض للوعيد بمسيس النار، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

أحدها: التولي العام.

الثاني: المودة والمحبة الخاصة.

الثالث: الركون القليل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥]، فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلوات الله وسلامه عليه، فكيف بغيره؟

الرابع: مداهنتهم، ومداراتهم. قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٩].

الخامس: طاعتهم فيما يقولون، وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ الآيات [القلم: ١٠-١٦].

السادس: تقريبهم في الجلوس، والدخول على أمراء الإسلام.

السابع: مشاورتهم في الأمور.

الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين، أي أمر كان، إمارة أو عمالة، أو كتابة أو غير ذلك.

التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم.

الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة.

الثاني عشر: الإكرام العام.

الثالث عشر: استئمانهم وقد خونهم الله.

الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل، كبري القلم، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم.

السادس عشر: اتباع أهوائهم.

السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم.

الثامن عشر: الرضى بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم.

التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم، كتسميتهم سادات وحكماء، كما يقال للطاغوت: السيد فلان، أو يقال لمن يدعي علم الطب: الحكيم، ونحو ذلك.

العشرون: السكنى معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: «**من جامع المشركين وسكن معهم، فإنه مثلهم**»[رواه أبو داود].

إذا تبين هذا، فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم، أو مع غيرهم، كما في آية المجادلة، وحينئذ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حميّة إما بطرح نكال، أو دفن نقائص المسلمين لهم، أو يشير بكف المسلمين عنهم، من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم، خصوصاً

المرتدين ينبغي أن تكون الغلظة عليهم أشد من الكافر الأصلي، لأن هذا عادي الله على بصيرة، وعادى رسوله ﷺ بعدماعرف الحق ثم أنكره وعاداه، والعياذ بالله.

فإذا كان من أعان ظالماً، فقد شاركه في ظلمه، فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم؟! وإذا كان من أعان ظالماً مسلماً في خصومه ظلم تكون عند حاكم، شريكاً لظالم، فكيف بمن يعين الكفار، ويذّب عنهم عند الأمراء؟!

وإذا كان الحراميّة الذي يأخذون أموال الناس، إذا بذلوا للأمير مالاً على أن يكف عنهم، فهو رئيسهم، فما ظنك بمن يسرّ إلى الكفار بالمودة؟ ويعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وغيره، لكن طرح النكال إن كان عن مسلم مظلوم، فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه فحسن. وإن كان من مرتد، فلا لَعاً لعثرته ولا كرامة.

ويكفي في ذلك مارواه أحمد والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر جيء بالأسرى وفيهم العباس، فقال رسول الله ﷺ: «**ماترون في هؤلاء الأسرى؟**» فقال أبو بكر: قومك يا رسول الله وأهلك، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم، وفي حديث أنس عند أحمد: نرى أن تعفو عنهم، وتقبل منهم الفداء.

رجع الحديث إلى ابن مسعود، فقال عمر: يا رسول الله! كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك، قدمهم فاضرب أعناقهم، فدخل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ، وقال: «**يا أبا بكر! مثلك مثل إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾**

[إبراهيم: ٣٦]. ومثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦] أنتم عالة، فلا ينفلتنّ أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيتين مختصراً[١].

وفي حديث أنس: فأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨][٢].

وفي حديث ابن عمر، عند أبي نعيم، فلقي رسول الله ﷺ عمر فقال: **«كاد أن يصيبنا في خلافك شر»**[٣]. وفي رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه، فقال رسول الله ﷺ: **«إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل عذاب ما أفلت إلا عمر»**[٤].

فإذا كان هذا في رأي للصديق ـ رضي الله عنه ـ الذي اجتهد فيه، ونصح لله ولرسوله ﷺ، فما ظنك بمن يفعل ذلك مع قريبه حميّة دنيوية لا لغرض ديني، ولا يقصد وجه الله بذلك، بل لا يقصد إلا الدنيا، فإن قيل: فالنبي ﷺ لم يذم أبابكر على التشبيه، بل شبهه بإبراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام، وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام. قيل: المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة، لا في خصوص هذه المسألة، فإن الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله، ومع ذلك توعد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأي للصديق ـ رضي الله عنه ـ الذي اجتهد فيه، فكيف بمن ينصح لهم، ويرفق بهم، ويرى الكف عن قتالهم، ويشير

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٢٩، ٢٢٧)، والترمذي في الجامع (١٧١٤).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/٣٨٣).
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٤٣).
(٤) الدر المنثور (٤/١٠٨).

بإسقاط النكال عنهم من غير مسوّغ شرعي بل لمجرد المحبة الدنيوية .

وأما من يشير بكف المسلمين عنهم، فإن كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الإسلام، أو دخلوا فيه، أو واعدوهم بالدخول فيه عن قريب، وكان المصلحة في تركهم قليلة ونحوه؛ يجوز ذلك. وإن كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك، فهو من أعظم أعوانهم، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار، وتباعد الأقطار كما قيل:

سهم أصاب وراميه بذي سلم
من العراق لقد أبعدت مَرْماك

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين، فهذا عند الفقهاء مخطىء آثم، لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين في حالة الرّدة، خصوصاً من تتكرر منه الرّدة مراراً، فإنه لايقصد بذلك في هذا الزمان إلا الإغارة والنهب لا غير فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الإثم والعدوان، ولهذا لما صار هذا أمراً سائغاً عند بعض الناس انفتحت للبدوان أبواب الرّدة، وأتوها مهطعين من كل وجه، ولو كان هذا مصلحة في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد في كل زمان، فاعلم ذلك.

وأما قول السائل: هل يكون هذا موالاة نفاق، أم يكون كفراً؟

فالجواب: إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك، فإنه يحكم على صاحبها بالكفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

﴿نَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. وقال النبي ﷺ: «**من جامع المشركين، وسكن معهم فإنه مثلهم**»، وقال ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**» [رواهما أبو داود].

وإن كانت الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليهم ونحو ذلك، فهذا عاص؛ آثم، متعرض للوعيد، وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله، وإن كانت الموالاة لأجل دينهم فهو مثلهم، ومن أحب قوماً حشر معهم، ولكن ليتفكر السائل في قوله: حمية دنيوية، هل يمكن هذا لأبلاغ المحبة في قلوبهم؛ وإلا فلو كان يبغضهم في الله وما يعاديهم، لكان أقر شيء لعينه ما يسخطهم ويغيظهم؛ ولكن كما قال ابن القيم:

أتحب أعداء الحبيب وتدّعي
حباً له ماذاك في إمكان

وأما قول السائل: فإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم، ما حكمه؟

فالجواب: لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكاً في كفرهم، أو جاهلاً به، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم، ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم، أو يقول: أقول غيرهم كافر. لا أقول إنهم كفار. فإن كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم، فإن شك بعد ذلك وتردد، فإنه كافر بإجماع العلماء، على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر.

وإن كان يقر بكفرهم، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن

لهم، ويدخل في قوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩]، وله حكم أمثاله من أهل الذنوب.

وإن كان يقول: أقول غيرهم كفار، ولا أقول هم كفار، فهذا حكم منه بإسلامهم، إذ لا واسطة بين الكفر والإسلام، فإن لم يكونوا كفاراً فهم مسلمون، وحينئذ فمن سمى الكفر إسلاماً أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر، فيكون هذا كافراً.

وأما قوله إذا عرفت هذا من إنسان، ماذا يجب عليك؟

فالجواب: يجب عليك أن تنصحه وتدعوه إلى الله سبحانه، وتعرّفه قبيح ما ارتكبه، فإن تاب فهذا هو المطلوب، وإن أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه، إن كان كفراً فكافر، وإن كان معصية أو إثماً فعاص آثم، يجب الإنكار عليه، وتأديبه وهجره وإبعاده حتى يتوب، وقد هجر النبي ﷺ من تخلف عن غزوة واحدة، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم، فكيف بمن يوالي الكفار، ويظهر لهم المودة؟!

فصل

فإن قيل ما ذكرتم من الآيات والأحاديث والآثار، معارض بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٨-٩]، فدلت الآيات على أن بِرّ ضعفة الكفار لا بأس به، إذا لم يكن مع ولايتهم، بل عداوتهم.

وكذلك الصحابة الذين تكلموا في مالك بن الدُّخشم. وقال بعضهم: إنه منافق، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»، قالوا: بلى، ولكنا نرى نصيحته للمنافقين، فقال: «**فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» أو كما قال. فهو في البخاري ومعناه في مسلم(١).

وكذلك أناس من الصحابة لهم آباء منافقون كعبدالله بن عبدالله بن أبيّ ولم ينقل عنهم عداوتهم والغضب عليهم، وإظهار العبوسة في وجوههم ونحو ذلك.

الجواب: أما قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨]، فإن معناها: أن الله لا ينهى المؤمنين عن برّ من لم يقاتلهم من الضعفاء والمساكين، كالنساء والصبيان في أمر الدنيا كإعطائهم إذا سألوك ونحو ذلك. وأما موالاتهم ومحبتهم وإكرامهم، فلم يرخص الله تعالى في

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٨٦، ٦٦٧، ٤٢٥)، ومسلم في الصحيح (٦٥٧).

ذلك، بل شدد في موالاة الكفار من اليهود والنصارى، ولو كانوا أهل ذمة، حتى نهى النبي ﷺ عن بداءتهم بالسلام، والتوسعة لهم في الطريق، وقال: «**لاتبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**»(١). وهكذا حال المعاهد.

فأما الكافر الحربي، والمرتد، فأين الرخصة في شيء من ذلك؟ وقد نص على أن هذه الآية في النساء ونحوهم؛ ابن كثير(٢).

وقال غيره من المفسرين: هذه أيضاً رحمة منه لهم ـ أي المؤمنين ـ لتشددهم وجدهم في العداوة، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر بقتال المسلمين، وإخراجهم من ديارهم.

وقيل: أراد بهم خزاعة، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه. وعن مجاهد: هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا. وقيل: هم النساء والصبيان. وعن قتادة: نسختها آية القتال. انتهى، يعني قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وهذه الآية على ما ترى قيل: إنها منسوخة كما قال قتادة، وقيل: إنها في النساء والصبيان خاصة، وقيل: هي فيمن أسلم ولم يهاجر. فيجوز برهم بإعطائهم من متاع الدنيا.

فأين في الآية ما يدل على جواز موالاة الكفار والمرتدين، ومحبتهم والقيام معهم في كل وجه؟!

والجواب عن حديث مالك بن الدخشم: أن مالك ممن شهد بدراً، وقد جاء في الصحيح أن الله تعالى قال لأهل بدر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت**

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٢١٦٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٠).

لكم»[١]، وليس بأعظم من قصة حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ. فهذا جَسٌّ من حاطب، وقد تنازع العلماء في قتل الجاسوس المسلم، ولم يكن ذلك دليل على جواز مكاتبة المشركين بأسرار المسلمين.

كذلك حديث مالك، لا يدل على أن مجالسة المنافقين ونصيحتهم أمر جائز. ولكن يقال والله أعمل هذا ذنبٌ، كُفِّر بشهوده بدراً، كما كُفِّر ذنب حاطب بذلك.

والجواب: عن أمر عبدالله بن عبدالله بن أبيّ، أن عبدالله بن عبدالله له الآيام البيض، والعداوة الظاهرة لأبيه عبدالله بن أبيّ، مالا يخفى على أحد من أهل العلم حتى أنه استأذن رسول الله ﷺ في قتله، فلم يأذن له رسول الله ﷺ. فكيف يحتج أحد بما لا دليل فيه لقوله، بل هو على نقيض مقصوده أولى، والله أعلم.

خاتمة: في فضل الحب في الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ـ٢٩]، فهذا شأن كل محبة في الدنيا، على غير طاعة الله.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب**

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٩٨٣)، ومسلم في الصحيح (٢٤٩٤).

عبداً لا يحبه إلا لله تعالى، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» [رواه البخاري ومسلم][(١)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» [رواه مسلم][(٢)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد، قال أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها، قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك، أن الله تعالى قد أحبك كما أحببته فيه» [رواه مسلم][(٣)]. المدرجة: الطريق، وتربها: أي تقوم بها، وتسعى في صلاحها.

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيّ، وللمتزاورين فيّ، وللمتباذلين فيّ» [رواه مالك[(٤)] بإسناد صحيح].

وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيّون والشهداء» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح][(٥)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد

---

(١) صحيح البخاري (١٦،٢١،٦٠٤١،٦٩٤١)، صحيح مسلم (٤٣).
(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٦).
(٣) صحيح مسلم (٢٥٦٧).
(٤) الموطأ كتاب الجامع (١٢٢)، وأحمد في المسند (٥/٢٣٦،٢٣٢،٢٢٩)، ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٧٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (٧٣١٤).
(٥) أخرجه الترمذي في الجامع (٢٣٩١)، وأحمد في المسند (٥/٢٣٩).

الله عباداً ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم، لعلنا نحبهم؟ قال: هم قوم تحابوا بنور الله، من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]» [رواه النسائي(١) وابن حبان في صحيحه(٢) وهذا لفظه].

وعن أبي أمامة ـ رضي لله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عباداً يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور، يغشي وجوههم النور، حتى يفرغ من حساب الخلائق» [رواه الطبراني بإسناد جيد(٣)].

وعنه أيضاً، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لعمداً من ياقوت، عليها غرف من زبرجد، لها أبواب مفتحة، تضيء كما يضيء الكوكب الدري، قال قلنا: يا رسول الله من يسكنها؟ قال: المتحابون في الله تعالى والمتباذلون في الله تعالى والمتلاقون في الله تعالى» [رواه البزار(٤)].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنه لله، فقد استكمل الإيمان» [رواه أبو داود(٥)].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: كيف ترى في رجل، أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب» [رواه البخاري ومسلم](٦).

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٣٦).
(٢) صحيح ابن حبان (٥٧٣).
(٣) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١١٢).
(٤) كشف الأستار (٣٥٩٢).
(٥) رواه أبو داود في السنن (٤٦٨١).
(٦) صحيح البخاري (٦١٦٩)، صحيح مسلم (٢٦٤٠).

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ يرفعه قال: «مامن رجلين تحابا في الله تعالى بظهر الغيب، إلا كان أحبهما إلى الله تعالى أشدهما حباً لصاحبه»[رواه الطبراني بإسناد جيد(١)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله؛ اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، الحديث»[رواه البخاري ومسلم](٢).

وعن معاذ بن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان قال: «أن تحب لله، وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله تعالى»، قال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»[رواه أحمد].(٣)

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأحاديث الصحيحة المتواردة على وتيرة واحدة في خصوص هذه المسألة التي هي: الحب في الله، والبغض في الله، الذي لا يعده أكثر الناس عملاً صالحاً، فضلاً عن كونه يعتقد أنه من أفضل الأعمال الصالحة، فضلاً عن كونه يعتقد أنه من فرائض الأعيان. فالله المستعان.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٢٧٩).
(٢) صحيح البخاري (١٤٢٣)، صحيح مسلم (١٠٣١).
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٤٠)، ٤٣٨)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٩١).